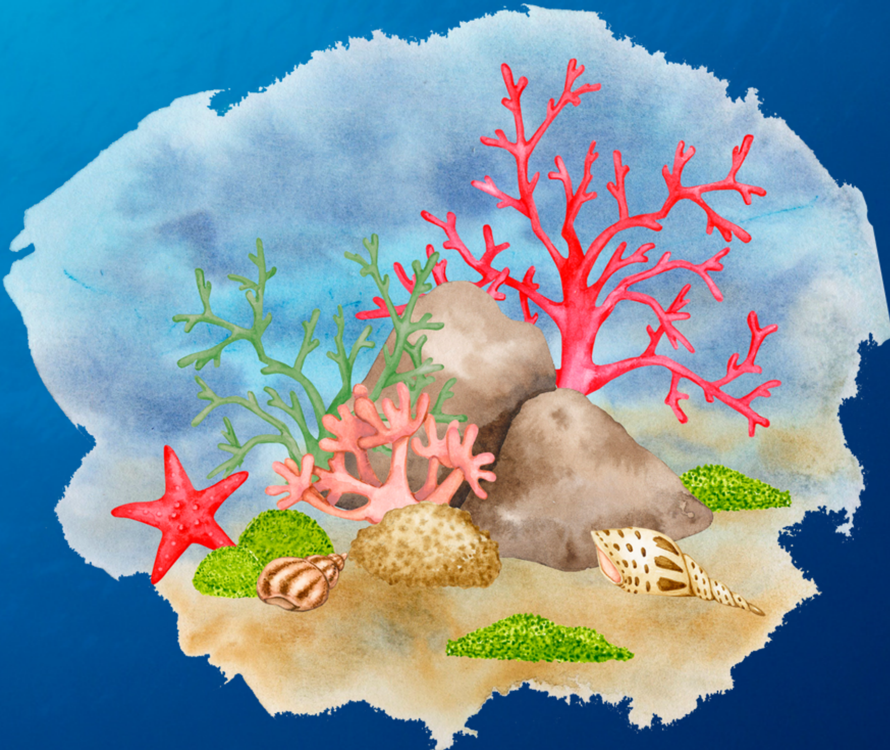
درر المعاني

مجموعة من الدرر والفوائد العلمية



إعداد

د.غمدان أحمد رزق الشيخ

MADAAREES

بسم الله الرحمن الرحيم

درر المعاني

مجموعة من الدرر والفوائد العلمية

إعداد

د.غمدان أحمد رزق الشيخ

المقدمة

الحمد لله رب العالمين وصـــلى الله وســـلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين:

أما بعد:

فقد وضـــعت في كتابي هذا مجموعة من الدرر والفوائد العلمية بطريقة موجزة ومشـــوقة، ومنوعة، بحيث لا يمل منها القارئ، فأرجو من الله القبول والإخلاص فيه.

والحمد لله رب العالمين.

أسوار

تأتي للإنسان مواقف في حياته يظنها صعبة الحل ومع مرور الزمن يتبين أنها أمور سهلة.

(دع عنك الأسوار والحواجز، وانظر بعين القوة والعزيمة والتوكل).

إن الحواجز والأسوار التي اعترضت العلماء والعظماء لم تك عائق لهم في الإنجاز والتقدم، ولو كانت كذلك لما وصل إلى ما وصلوا إليه.

الإبداع في فنون متنوعة

ذكر ابن عبد الباقي الحنبلي في كتابه مشـــيخة أبي المواهب الحنبلي أن الشيخ رجب بن حسين بن علوان الحموي الأصل، الدمشقي الميداني، الشافعي كان لديه فنونًا عديدة خاصـــة في العلوم الغريبة وعد منها: العلوم الرياضـــية كالفرائض والحساب والفلك والهيئة والموسيقى، ووصفه بأنه أعجوبة الزمان، وكان معظم أخذه لهذه العلوم في رحلته إلى القاهرة، فلما عاد لدمشـــق انتفع به خلق كثير من أهل عصره، وكان يتاجر توفي سنة سبع وثمانين وألف(١).

وقد كثر في هذا الزمان التخصص في مسائل أو فن معين.

والملاحظ من السابقين التعمق في الكثير من العلوم والفنون.

فلا أظن التخصصات الحالية وكثرتها إلا عن ضعف همة وإطلاع.

وقيل: (ما كثرت التخصصات إلا عندما ضعفت الهمم).

(١) مشيخة أبي المواهب الحنبلي (ص:٧).

الثقة

الثقة: سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: درجة الإياس: وهو إياس العبد من مقاواة الأحكام ليقعد عن منازعة الأقسام وليتخلص من قحة الإقدام.

والدرجة الثانية: درجة الأمن: وهو أمن العبد من فوت المقدور وانتقاص المسطور.

يظفر بروح الرضى وإلا فبغنى اليقين وإلا فبظلف الصبر.

والدرجة الثالثة: معاينة أولية الحق؛ ليتخلص من محن القصود وتكاليف الحمايات والتعريج على مدارج الوسائل(١).

قلت: لا يثق بالله إلا متوكل، ولا يتوكل إلا مؤمن، ولا يتم إيمان الإنسان، حتى يحارب هوى نفسه، ويبذل الجهد في الحصول على الإيمان، ولا يأتي الإيمان إلا بالصبر.

ما أحوجنا معشر المسلمين: لمن يعيد بنا الثقة بعد أن لهثت الآمة وراء كل ناعق وتجرعت من الذل الهوان.

جاء رجل إلى حاتم الأصم فقال: يا أبا عبد الرحمن أي شيء رأس الزهد, ووسط الزهد, وآخر الزهد؟ فقال: رأس الزهد الثقة بالله, ووسطه الصبر, وآخره الإخلاص(٢).

---

(١) منازل السائرين (ص:٤٧).
المؤلف: أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي (المتوفى: ٤٨١هـ).
الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت.

(٢) التصنيف الموضوعي لتاريخ بغداد، للحافظ أبي بكر الخطيب البغدادي (١/١٤٦).
المؤلف: د. محمد بن عبد الله الهبدان.

الرحيل

قال أحد الوعاظ: هذا نذير الموت قد غدا يقول الرحيل غدا، كأنكم بالأمر وقد قرب ودنا، فطوبى لعبد استيقظ من غفلته ووعا[١].

وروي أن الحسن قيل له: إن فلاناً مات بغتة، فقال: ما يعجبكم من ذلك لو لم يمت بغتة مرض بغتة ثم مات.

وحضر بعض الرؤساء صلاة الجمعة، وبه مرض لا يحتمل معه تطويل الخطبة، فصعد الخطيب المنبر، فقال: الحمد لله رب العالمين، وصلواته على أشرف النبياء والمرسلين، أما بعد: فإن الدنيا دار ممر والآخرة دار مقر، فخذوا لمقركم من ممركم، ولا تهتكوا أستاركم عند من لا تخفى عليه أسراركم، وأخرجوا الدنيا من قلوبكم، قبل أن تخرج منها أبدانكم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم.

فما أبلغ هذه الخطبة وأفصحها، وأوجزها! فعمر الدنيا والله قصير، وأغنى غني فيها فقير، وكأني بك في عرصة الموت وقد استنشقت ريح الغربة قبل الرحيل، ورأيت أثر اليتم في الولد قبل الفراق، فتيقظ إذن من رقدة الغفلة، وانتبه من السكرة، واقلع حب الدنيا من قلبك، فإن العبد إذا أغمض عينه وتولى، تمنى الإقالة فقيل كلا.

قال أبو عمران الجوني: مر سليمان بن داود عليهما السلام في موكبه، والطير تظله، والجن والإنس عن يمينه وشماله، قال: فمر عابد من عباد بني إسرائيل، فقال: والله يا ابن داود لقد آتاك الله ملكاً عظيماً!! قال: فسمع سليمان كلمته، فقال: تسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما أعطي ابن داود، وما أعطي ابن داود يذهب، والتسبيحة تبقى[٢].

---

(١) مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار (١/١٠٥).
المؤلف: أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ).
عدد الأجزاء: ٣ أجزاء.

(٢) تسلية أهل المصائب (١/٢٤٦).

قال بعض السادة الأخيار لولده لما حضرته الوفاة: يا بنيّ، اسمع وصيتي، واعمل ما أوصيك به. قال نعم يا أبت. قال يا بنيّ، اجعل في عنقي حبلا، وجرّني إلى محرابي، ومرّغ خدي على التراب، وقل: هذا جزاء من عصى مولاه، وآثر شهوته وهواه، ونام عن خدمة مولاه. قال: فلما فعل ذلك به، رفع طرفه إلى السماء وقال: إلهي وسيدي ومولاي، قد آن الرحيل إليك، وأزف القدوم عليك، ولا عذر لي بين يديك، غير أنك الغفور وأنا العاصي، وأنت الرحيم وأنا الجاني، وأنت السيد وأنا العبد، ارحم خضوعي وذلتي بين يديك، فانه لا حول ولا قوة إلا بك(١).

عباد الله: على نية النقض وضع البنيان, وعلى شرط الرحيل الأرواح في الأبدان, وإنما الدنيا معبر إلى دار الحيوان, وليس للإقامة فالعجب لاغترار الإنسان, أين العقل والنظر, إلام الجهل والبطر, كم من منزل دثر, كم ساع عثر وأنت في الأثر, إلام هذا الأشر وقد علمت مآل البشر, أين العقول والفكر, كم وارد ما صدر, البلايا مثل المطر, وإنك لعلى خطر, كم حضرت لدى محتضر, ودمع المآقي قد انهمر لقلة الزاد وطول السفر, ويحك إلى متى تختار الضرر, لقد بعت الدر بالبعر, إن العاقل ليختار الأجود, وإن الحازم لا يرضى أن يستعبد, يا من كلما جمعناه تبدد(٢).

المؤلف: محمد بن محمد بن محمد، شمس الدين المنبجي (المتوفى: ٧٨٥هـ).

(١) بحر الدموع (١/١١).

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

(٢) التبصرة (١/٣٥٣).

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

الزهد في الدنيا وبيان حقارتها

الزهد: هو انصراف الرغبة عن الشيء إلى ما هو خير منه، وأما العلم المثمر لهذه الحال فهو العلم بكون المتروك حقيراً بالإضـــــافة إلى المأخوذ فما عرف أن ما عند الله باقٍ، وأن الآخرة خير وأبقى كما أن الجوهر خير وأبقى من الثلج، فالدنيا كالثلج الموضـــوع في الشـــمس لا يزال في الذوبان إلى الانقراض، والآخرة كالجوهر الذي لا فناء له، وبقدر اليقين بالتفاوت بين الدنيا والآخرة تقوى الرغبة في البيع، وقد مدح القرآن الزهد في الدنيا وذم الرغبة فيها.

فقال تعالى:

بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٧﴾ [الأعلى، الآية:١٦-١٧].

وقال تعالى:

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ [الأنفال، الآية:٦٧].

وقال تعالى:

اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ [الرعد، الآية:٢٦].

والأحاديث فى ذم الدنيا وزبيان حقارتها عند الله كثيرة جداً.

عن جابر -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- مرّ بالسوق والناس كنفتيه، فمر بجدي أسك ميت فتناوله فاخذ بأذنه، فقال: "أيكم يحب أن هذا له بدرهم" فقالوا: ما نحب أنه لنا بشـــيء وما نصـــنع به؟ قال: "أتحبون أنه

لكم"، قالوا: والله لو كان حياً كان عيباً فيه أنه أسـك فكيف وهو ميت؟ فقال: "والله للدنيا أهون على الله من هذا عليكم[١].

وعن سهل بن سعد عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: "لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء"[٢].

فالزهد: هو الإعراض عن الشـيء لاسـتقلاله، واحتقاره، وارتفاع الهمة عنه، يقال: شيء زهيد، أي: قليل حقير.

قال يونس بن ميسرة: "ليس الزهادة فى الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن تكون بما في يد الله أوثق منك بما في يدك، وأن تكون حالك فى المصـيبة وحالك إذا لم تصـب بها سـواء وأن يكون مادحكم وذامّكم في الحق سواء"[٣].

---

(١) رواه مسلم (٩٣/١٨) الزهد، وأبو داود (١٨٤) الطهارة، وقوله: "والناس كنفتيه" أي: حوله، وفيه أدب سير طلاب العلم مع العالم، وقوله: "أسك" أي: صغير الأذنين.

(٢) رواه مسلم (٩٣/١٨) الجنة وصفة نعيمها، والترمذي (١٩٩/٩) الزهد، وابن ماجه (٤١٠٨).

(٣) رواه الترمذي (١٩٨/٩) الزهد، وقال: صـحيح الإسـناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: زكريا ضـعفوه، وقال الألباني: والصواب أن الحديث صحيح لغيره فإن له شواهد تقويه، وانظر شواهده في الصحيحة رقم (٩٤٣).

(٣) تزكية النفوس (ص:٥٣).

المؤلف: أحمد فريد.

الناشر: دار العقيدة للتراث – الإسكندرية.

الشوق للبيت

حجّت امرأةٌ من العبّاد وهي تمشي وتقول: أين بيت ربّي! أين بيت ربي! فيقولون: الآن ترينَهُ، فلمّا لاح البيتُ، قالوا: هذا بيت ربك، فجعلتْ تَشتدّ، وتقول: بيت ربّي، بيت ربّي، حتى وضت جبهتها عليه فما رُفِعتَ إلاّ ميتة.

اشتقتُ يا سفن الفلاة فَبَلِّغي وطربتُ يا حادي الرفاق فَغَنِّني[1]

لا يبلغ العبد منتهى الشوق لمشاعر العبودية إلا عن إيمان صافي عميق. فكم من حاج ومعتمر وناسك وقلبه لاهٍ معرضٍ، نسأل من الله حسن العلم والختام، والله المستعان ...

---

(١) المنثور (ص:١١).

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

الصديق المخوف، الآمن

عن ســـعيد بن زيد قال: سمعت معلى بن زياد يقول: ســـأل المغيرة بن مخادش الحسن فقال: (يا أبا سعيد كيف نصنع بمجالسة أقوام يحدثونا حتى تكاد قلوبنا تطير؟ فقال: أيها الشيخ, والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً خيراً لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف)[١].

قلت: الإنســـان الموفق، لا يغتر بالكثير من الناس، فقد تجالس إنســـان يسعدك حديثه وفيه من الشر الكثير، وقد تجالس إنسان، يصعب عليك مجالسته، وفيه من الخير الكثير، وقد يعرف الإنســـان: ذلك مع الأيام والمداخلة الطويلة، فالذهب يبقى ذهب ولو دفن.

وقد ضرب الله أروع مثال في حال المنافقين، فقال

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ [المنافقون، الآية: ٤].

قال الإمام الشوكاني: (مستأنفة لتقرير ما تقدّم من أن أجسامهم تعجب الرائي وتروق الناظر، ويجوز أن تكون في محل رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف، شبّهوا في جلوسـهم في مجالس رسـول الله -صلى الله عليه وسلم- مستندين بها بالخشـب المنصـوبة المسـندة إلى الحائط التي لا تفهم ولا تعلم، وهم كذلك لخلوّهم عن الفهم النافع، والعلم الذي ينتفع به صـــاحبه، قال الزجاج: وصـــفهم بتمام الصور، ثم أعلم أنهم في ترك الفهم والاستبصار بمنزلة الخشب)[٢].

---

(١) المقلق (٢٩/١).

المؤلف: جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ).

المحقق: مجدي فتحي السيد.

الناشر: دار الصحابة للتراث بطنطا.

(٢) فتح القدير (٢٢٦/٧).

الظلمة حسا ومعنى

الليل البهيم إذا ادلهمَّ، فتصـــير ظلمةُ المعصـــية لقلبه كالظلمة الحسّـــية لبصره. فإنّ الطاعة نور، والمعصية ظلمة، وكلّما قويت الظلمة ازدادت حيرته، حتّى يقع في البدع والضـلالات والأمور المهلكة، وهو لا يشـعر، كأعمى خرج في ظلمة الليل يمشـــي وحده. وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر في العين، ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير سوادًا فيه يراه كلّ أحد.

قال عبد الله بن عباس –رضـي الله عنه–: إنّ للحسـنة ضـياءً في الوجه، ونورًا في القلـب، وســـعة في الرزق، وقوةً في البـدن، ومحبـةً في قلوب الخلق. وإنّ للســـيئة ســـوادًا في الوجه، وظلمةً في القلب، ووهنًا في البدن، ونقصًـــا في الرزق، وبغِضةً في قلوب الخلق[1].

قلت: وما الكثير من المشـــاكل والهموم إلا بســـبب البعد عن منهج الله القويم الذي شرعه للبشرية، فهو سبحانه، أعرف بمصالحهم، من أنفسهم.

المؤلف: محمد بن علي الشوكاني.

(١) الداء والدواء = الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي (١/١٣٥).

المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).

الناشر: مجمع الفقه الإسلامي بجدة.

طبعة: دار عالم الفوائد بجدة. الطبعة: الأولى – ١٤٢٩هـ.

الغناء بالله

قال ابن القيم -رحمه الله-: (إذا استغنى الناس بالدنيا فاستغن أنت بالله وإذا فرحوا بالدنيا فافرح أنت بالله وإذا أنسوا بأحبابهم فاجعل أنسك بالله وإذا تعرفوا إلى ملوكهم وكبرائهم وتقربوا إليهم لينالوا بهم العزة والرفعة فتعرف أنت إلى الله وتودد إليه تنل بذلك غاية العز والرفعة)[1].

أنشد بعض السلف:

وَكُنْ لِربِّكَ ذَا حبٍّ لِتَخْدِمَه إنَّ المحبينَ للأحباب خُدَّامُ[2]

(١) الفوائد (ص:١١٨).

المؤلف: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ).

(٢) جولة في رياض العلم والمعرفة (ص:٢٨٢).

المؤلف: محمود بن محمد هلال.

المال والعلم

قال محمد بن أحمد بن سعيد الرازي: "سمعت أبا الفضل، العباس بن حمزة، قال: سمعتُ ذا النون يقول: "كان الرجلُ، من أهْلِ العِلْم، يزدادُ بعلمه بُغضاً للدنيا، وتركاً لها؛ واليومَ، يَزْدادُ الرجلُ بعلمه، للدنيا حبّاً، ولها طَلَباً. وكان الرجلُ يُنفِق مالَه على عِلْمه؛ واليومَ يَكْسَبُ الرجلُ بعلمه مالاً. وكان يُرى على صاحب العلم، زيادةٌ في باطنه وظاهرِه؛ واليومَ، يُرَى على كثيرٍ من أهل العلم فسادُ الباطِنِ والظاهِرِ"[1].

قلت: الدنيا زينة تغري الكثير، ينجر وراء هذه الزينة حتى ينسى ما أُعِدَّ للعباد من الخير في الآخرة، وقد انتشر ذلك بين أهل العلم وحفاظ القرآن، نسأل من الله العفو والعافية، وحسن الخاتمة.

كما قال الناظم:

لا تؤثر الأدنى على الأعلى فتحرم ذا وذا يا ذلة الحرمان

---

(١) طبقات الصوفية (ص:٢٦).

المؤلف: أبو عبد الرحمن السلمي.

ثمرة العقل

قال عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: "ليس العاقلُ الذي يعرف الخيرَ من الشر، ولكنه الذي يعرف خير الشرين".

وقالت عائشة -رضي الله عنها-: "قد أفلح من جعل الله له عقلًا" أ.هـ.

قلت: هذه ثمرة العقل، وفضل العقلاء، أما من طَالَع أحوالَ الجَهلة يَرى عَجَبًا لسُوء أخْلاقهم مع ما عندهم من نِعَمة العقل.

قال بعضُ الحكماء: الأدب صورة العقل، فصور عقلك كيف شئت.

وقال آخر: العقلُ بلا أدب كالشجر العاقر، ومع الأدب كالشجر المثمر.

وقال بعضُ البلغاء: الفضل بالعقل والأدب، لا بالأصل والحسب؛ لأن من ساد أدبه ضاع نسبه، ومن قلَّ عقلُه، ضلَّ أصلُه.

وقال بعضُ العلماء: الأدب وسيلة إلى كُلِّ فضيلة، وذريعة إلى كل شريعة.

والواجب على العاقل: أن يكون حسن السَّمْت (أي الهيئة)، طويلَ الصَّمْتِ، فإنَّ ذلك في أخْلاق الأنبياء، كما أن سُوء السَّمت وترك الصَّمت من شِيم الأَشقِيَاء.

قلت: فكل من منعه عقله عما لا ينبغي، فهو من جمله العقلاء، ثم بِأيّ شيء يفخر المرءُ إذا كانت أخلاقُه سيئة، وطِباَعُه قبيحةٌ؟! وعلى ماذا كبَّر، وبم يفرح إذا كان مسلوب الفضيلة؟![1].

---

(١) موسوعة الأخلاق (ص:١٤).

المؤلف: خالد بن جمعة بن عثمان الخراز.

حقيقة الالتزام

إن من ينتسب إلى الالتزام ينبغي عليه أن يكون قلبه مطمئناً بذكر ربه جل وعلا، وأن يكون راضياً بقضاء الله وقدره، حريصاً على فضائل الأعمال والإكثار منها، وأن يعلم أن هذه الطريق شاقة، ومليئة بمخاطر السخرية والاستهزاء والابتلاءات؛ فلا يثبت عليها إلا الرسل وورثتهم من العلماء الربانيين وطلبة العلم المحتسبين.

حقيقة الإنسان

أخي المسلم: الكل همه تحصيل لذاته وما تتلذذ به النفس من المحسوسات! ولا يقف الحال بالمخلوق عند حاجته من اللذات بل يتجاوز ذلك إلى الإسراف والتبذير!

أخي: ما أجهل هذا الإنسان بمصالحه وما ينفعه

وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ [إبراهيم، الآية:٣٤]

إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ ۖ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا [الأحزاب، الآية:٧٢].

أخي: هذه الحجب هي التي حجبت النفوس عن الغاية التي خلقت من أجلها! فركضت خلف السراب .. وسعت في تباب ..

وقليل أولئك الذين يدركون المطالب السامية .. والغايات الشامخة .. أخي ما أبعدنا عن اللذات الحقيقية .. وما أضلنا عن الحياة الهانئة السعيدة!!

ما أكثر المحبوبات للنفوس .. ولكن أين يقع حب الفاني من حب الباقي؟! أم أين يقع حب المصنوع من حب الصانع؟! أم أين حب الضعيف من القوي؟!

وإلا فردد معي قول الإمام ابن الجوزي: (وكيف لا أحب من أنا به، وبقائي منه، وتدبيري بيده، ورجوعي إليه؟! وكل مستحسن محبوب هو حسَّنه، وعطف النفوس إليه، فذلك الكامل القدرة أحسن من المقدور والعجيب الصنعة أكمل من المصنوع ..

(قطوف من الزهر الفتاح)

حِكَم ومواعظ

المصدران الرئيسيان في الإسلام هما كتاب الله وسنة رسوله -صلى الله عليه وسلم-، وقد وصلنا عن الصحابة الكرام الكثير من الأقوال التي تثري فهمنا للدين وتشرح بعض القضايا بعبارات قصيرة، وهناك الكثير من الأقوال عن الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم، وأيضاً عن التابعين وتابعيهم وعلماء المسلمين إلى يومنا هذا، ومن يتحرى هذا الموضوع يستطيع أن يجمع كتباً كثيرة لما قيل وأغلبها جيدة ومفيدة وهذه عينة عن تلك الأقوال والعبارات التي تمتلك طابعاً دينياً وفيها من الوعظ ما يفيدنا. الحياة رحلة بدأت بصرخة مدوية وتنتهي بصمت مطبق وبين الصرخة والصمت (الحصاد) اثنان لا تنسهما: ذكر الله والموت، واثنان لا تذكرهما: إحسانك للناس وإساءتهم إليك. قيل لابن مسعود -رضي الله عنه-: من ميت الأحياء ؟ قال : الذي لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً. ليس من مات واستراح بميت إنما الميت ميت الأحياء. إذا أحب الله عبداً اصطنعه لنفسه: فشغل همه به ولسانه بذكره وجوارحه بخدمته. إن دُور الجنة تبنى بالذكر فإذا أمسك الذاكر عن الذكر أمسكت الملائكة عن البناء. من أصلح سريرته فاح عبير فضله وعبقت القلوب بنشر طِيبه، فالله الله في السرائر.

إن طاف بك طائف من هم فالجأ إلى الله وامنح غيرك معروفاً: أطعم جائعاً، عد مريضاً تجد راحة وأنساً. من عرف الله هانت مصيبته، ومن أنس به زالت غربته ومن رضي بالقضاء سعد. الاستغفار يفتح الأقفال ويشرح البال ويكثر المال ويصلح الحال. في المآزق يكشف لؤم الطباع، وفي الفتن تكشف أصالة الرأي وفي الشدة يكشف صدق الإخاء. فتح الله للمطالب أبواباً وسن للحوادث أسباباً فقال لنا: ادعوا، وقال: اعملوا. هموم الدنيا مؤقتة، مهما طال زمنها لكنها في قلوبنا الضعيفة أكبر من الآخرة. إذا كان وزر محمد -صلى الله عليه وسلم- أنقض ظهره، فما الذي تفعله أوزارنا بظهورنا. متى امتلأ قلب العبد

إيماناً ويقيناً فإن الله لن يخذله، قال: إن معي ربي سيهدين، لا تندم على إحسان صادق بذلته فالطيور لا تأخذ مقابلاً على تغريدها. لتكن خطاك في دروب الخير على رمل ندِيٍ لا يُسمع لها وقع لكن آثارها بينة. لا بد لنا من عزيمة نفطم بها أنفسنا عن اللهو وأن لا نقعد فراغاً والموت يطلبنا. إن المصائب ما جاءت لتهلكك إنما جاءت لتمتحن صبرك وإيمانك، والله مع الصابرين. فرغ قلبك لله بما أمرت به، ولا تشغله بما ضمن لك، وسيرزقك ربك من حيث لا تحتسب. سبحان من يرحم عبده بابتلائه فلولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس. من الخطأ أن تُنظم الحياة من حولك وتترك الفوضى في قلبك. إذا رأيت منافقاً اتبع فلا تعجب وتذكر الدجال غداً والسامري بالأمس. لو كانت الدنيا كلها هم وهي ليست كذلك لكان حري بمن يرجو الجنة ألا يحزن.

لا تدع الدقائق تضيع سدى واملأ صحيفتك بما فيه هدى: إن أحب الكلام إلى الله سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم. الهمة العالية لهيب لا ينطفئ ووقود لا يخمد، يشكل في القلب نار العزيمة والإصرار. قد أجهد الناس هذا الحق وحال بينهم وبين شهواتهم وما صبر عليه إلا عارف لفضله. عذاب الهمة عذب، وتعب الإنجاز راحة، وعرق العمل مسك، فاغتنم عمراً ماله بديل. ما من أحد يفهم قوانين التجارة الإيمانية إلا وتراه مشمراً نحو كنوز الآخرة. احذر المعاصي فإنها تمحق بركة الطاعة وتحرم المغفرة في مواسم الرحمة. من ينصت يكتسب علماً جديداً، ومن يتحدث يمنح علمه للآخرين. لا تزال الملائكة مشغولة ببناء قصرك ما دام لسانك رطباً بذكر الله. إن مشاهدة الفسق يهون أمر المعصية على القلب وتبطل نفرة القلب عنه. إنك لتعرف الناس ما كانوا في عافية فإذ نزل بلاء صار الناس إلى حقائقهم. القلب مثل الطائر كلما علا بعد عن الآفات وكلما نزل احتوته الآفات. اعمر فؤادك بالتقى فالعمر محدود السنين، واحمل بصدرك مصحفاً يشرح فؤادك كل حين. رب مكروه عندك نعمة نجاك الله به من نقمة أحلك به صعود القمة. ما أعظم الفرق بين من نام وأعين الناس ساهرة تدعو له، ومن نام وأعينهم ساهرة تدعو عليه. الكلمة الطيبة تأسر

القلوب، وتمحو الضغينة وهي لك صدقة عند الكريم الرحمن. دع الدنيا وتطلع للآخرة، فالدنيا لا تساوي نقل أقدامك إليها، فكيف تعدو خلفها. إلى متى الغفلة؟ فرب إشراق لم يدرك زمن غروبه. إن القلب كلما كانت حياته أتم كان غضبه لله أقوى وانتصاره للدين أكمل. ليس العيد لمن تجمل باللباس والمركوب، إنما العيد لمن غفرت له الذنوب. غاية أمنية الموتى استدراك حياة ساعة، وأهل الدنيا يقضون أعمارهم غفلة وضياعاً. احفظ الله يحفظك. إذا لم تستح فاصنع ما شئت. أطب مطعمك تكن مجابا الدعوة. اتق الله حيثما كنت. اتْبع السيئة الحسنة تمحها. خالقِ الناس بخلق حسن. اتق المحارم تكن أعبد الناس. ارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس. أحبّ للناس ما تحبّ لنفسك. لا تُكثر الضّحك فإنّ كثرة الضحك تُميت القلب. الظّلم ظلمات يوم القيامة. اتقوا الله واعدلوا في أولادكم. اتق النار ولو بشقّ تمرة. اتقوا دعوة المظلوم ز أثقل شيء في الميزان الخلق الحسن. التأني من الله والعجلة من الشيطان. قلة المال أقلّ للحساب. لا تغضب ولك الجنة. أحبّ الأعمال إلى الله أدومها وإن قلّ. أحب البلاد إلى الله مساجدها. أبغض البلاد إلى الله أسواقها. أحبّ الطعام إلى الله ما كثرت عليه الأيدي. أحب الكلام إلى الله أن يقول العبد سبحان الله وبحمده. أحب الناس إلى الله أنفعهم. أحبّ الأعمال إلى الله سرور تُدخله على مسلم. من كفّ غضبه ستر الله عورته. سوء الخلق يُفسد العمل كما يُفسد الخلّ العسل. أحبّ عباد الله إلى الله أحسنهم خلقاً. إحذروا الدنيا فإنها خضرة حلوة. إحفظ لسانك. أدّ الأمانة إلى من ائتمنك. لا تخن من خانك. أدعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة. بشروا ولا تنفروا. يسّروا ولا تُعسّروا. الدنيا مسألة حسابية، خذ من اليوم عبرة.. ومن الأمس خبرة.. اطرح منها التعب والشقاء.. واجمع لهن الحب والوفاء.. واترك الباقى لرب السماء. إذا استوحشت من الناس فاستأنس بالله، إذا أغضبك الخلق لا تنسى الخالق، واعلم أن الله مفرج هم من سكن الرضا قلبه، واعطى لله اثمن وقته تكون مستجاب الدعاء بإذن الله. أروع القلوب قلب يخشى الله، وأجمل الكلام ذكر الله، وانقى الحب الحب لله فهو الأساس تبسم فان الله ما اشقاك الا

ليسعدك، وما اخذ منك الا ليعطيك، وما ابكاك الا ليضحكك، وما حرمك الا ليتفضل عليك، وما ابتلاك الا لانه يحبك جعلك الله ممن نادى بهم الملأ قائلا: انى احب فلان فاحبوه. يا من نسيت النار يوم الحساب، وعفت ان تشرب ماء المثاب، أخاف ان هبت رياح الردى، عليك ان يأنف منك التراب. كلما وسعت على النفس باتباع الشهوات وارحت البدن، فقد ضيقت على حظ القلب من نور الله وثقلت الروح وهبطت، وكلما ضيقت على النفس بترك الشهوات وسعت على القلب، حتى ينشرح ويرى نور الله وتسعد الروح وتعلو. اللهم إن من عبادك من يدعونك ويختارون لانفسهم، ونحن ندعوك ولا نختار لأنفسنا، فاختر أنت لنا، اللهم اقدر لنا الخير حيث شئت وأصلح لنا شأننا كله إنك بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ولا حول ولا قوة لنا إلا بك سبحانك. ربنا نسيناك فذكرتنا، فلك الحمد ولك الشكر، سألناك فأعطيتنا، فلك الحمد ولك الشكر، نستغفرك فاغفر لنان فدائما يا ربنا لك الحمد ولك الشكر.

داء العشق ودواؤه

أولاً: جاء في كتاب الجواب الكافي[1] لابن القيم -رحمه الله- ما مختصره:

والله سبحانه وتعالى إنما حكى هذا المرض عن طائفتين من الناس[2]، وهم قوم لوط والنساء، فأخبر عن عشق امرأة العزيز ليوسف وما راودته وكادته به، وأخبر عن الحال التي صار إليها يوسف بصبره وعفته وتقواه، مع أن الذي ابتلي به أمر لا يصبر عليه إلا من صبَّره الله عليه، فإن موافقة الفعل بحسب قوة الداعي وزوال المانع، وكان الداعي ها هنا في غاية القوة، ومع هذه الدواعي كلها فقد آثر مرضاة الله وخوفه، وحمله حبه لله على أن يختار السجن على الزنى فقال: قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ [يوسف، الآية:٣٣]. واعلم أنه لا يطيق صرف ذلك عن نفسه وأن ربه تعالى إن لم يعصمه ويصرف عنه كيدهن، صبا إليهن بطبعه وكان من الجاهلين، وهذا من كمال معرفته بربه وبنفسه.

في علاج العشق ودواء هذا الداء القتال: أن يعرف أن ما ابتلي به من هذا الداء المضاد للتوحيد إنما هو من جهله وغفلة قلبه عن الله، فعليه أن يعرف توحيد ربه من سننه وآياته أولاً، ثم يأتي من العبادات الظاهرة والباطنة بما يشغل قلبه عن دوام الفكر فيه، ويكثر اللجأ والتضرع إلى الله سبحانه في صرف ذلك عنه، وأن يرجع بقلبه إليه، وليس له دواء أنفع من الإخلاص لله، وهو الدواء الذي ذكره الله في كتابه حيث قال: وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَىٰ بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ [يوسف، الآية:٢٤]،فأخبر سبحانه أنه صرف عن يوسف السوء من العشق والفحشاء من الفعل بإخلاصه، فإن القلب إذا أخلص عمله لله لم يتمكن منه عشق الصور، فإنه

(١) الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي لابن القيم -رحمه الله- (ص: ٢١٩-٢٣٠).

(٢) جاء في كتاب مدارج السالكين (١٥٦/٢) قال ابن القيم -رحمه الله-: (وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: كان صبر يوسف عن مطاوعة امرأة العزيز على شأنها: أكمل من صبره على إلقاء إخوته له في الجب، وبيعه وتفريقهم بينه وبين أبيه، فإن هذه أمور جرت عليه بغير اختياره لا كسب لها فيها، ليس للعبد فيها حيلة غير الصبر، وأما صبره عن المعصية: فصبر اختيار ورضا ومحاربة للنفس).

إنما يتمكن من القلب الفارغ، كما قال: أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبًا خاليًا فتمكنا. انتهى[1].

(١) ففروا إلى الله (ص:١٩٣).

المؤلف: أبو ذر القلموني، عبد المنعم بن حسين بن حنفي بن حسن بن الشاهد.
الناشر: مكتبة الصفا، القاهرة.

دواء القلب

قال إبراهيم الخواص: "دواء القلب خمســـة: قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين".

وقال: "من لم تبك الدنيا عليه لم تضحك الآخرة إليه"(١).

قلت: هذه الخمســة الأمور عليها مدار الخشــوع وذلك لمن تأمل الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة أنها تثبت ما قاله الخواص -رحمه الله-.

(١) طبقات الأولياء (ص:٣).
المؤلف: ابن الملقن.

مراعاة الأحاسيس

جاءت تكاليف الشريعة وفق استطاعة المكلف، قال تعالى: لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۖ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا ۚ أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ[البقرة، الآية:٢٨٦]، ومن أعظم سمات هذا الدين رفع الحرج عن المكلفين، ومراعاة قدراتهم ومشاعرهم وأحاسيسهم، وهذا دليل على أن الإسلام دين يسر وسهولة، لا دين مشقة وحرج(١).

قلت: الشرعية الإسلامية جاءت تراعي الإحساس واليسر على الناس فلا يكلف الإنسان إلا ما يطيق، ومن حصل له ضرورة أبيح له ما يرفع عنه الضرر ...

فمن مراعاة المشاعر في الإسلام: مراعاة أحاسيس ومشاعر المرضى والضعفاء وذوي الأعذار والحاجات، روى جابرٍ -رضي الله عنه- قال: كانَ معاذٌ يصلي مع النبي -صلى الله عليه وسلم- ثم يأتي فيؤمُّ قومَه، فصلّى ليلةً معَ النبي -صلى الله عليه وسلم- العشاءَ ثم أتى قومَه فأمَّهم فافْتَتَحَ بسورةِ البقرةِ فانْحَرَفَ رجلٌ مسلمٌ ثم صلّى وحدَه وانصَرَفَ، فقالوا له: أنا فَقْتَ يا فلانُ؟ قال: لا واللهِ ولآتِيَنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- فلأُخْبِرَنَّه، فأتى رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: يا رسولَ الله، إنا أصحابُ نواضحَ نعملُ بالنهارِ، وإنَّ معاذاً صلى معكَ العشاءَ ثم أتى فافتَتَح بسورةِ البقرةِ، فأقبَلَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- فقال: (يا معاذُ أفتّانٌ أنتَ؟ اقرأ بكذا واقرأ بكذا) رواه مسلم.

وعن عثمانَ بنِ أبي العاصِ أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: (قومَكَ، فمنْ أمَّ قومَه فليُخَفِّفْ فإن فيهم الكبيرَ وإن فيهم المريضَ وإن فيهم

---

(١) من محاضرات، الشيخ/ مصطفى العدوي.

الضعيفَ وإن فيهم ذا الحاجة، وإذا صلى أحدُكم وحدَه فليُصَلِّ كيفَ شاءَ) رواه مسلم.

وعن أنس بن مالك -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: إني لأدخل في الصلاة وأنا أريد إطالتها، فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي، مما أعلم من شدة وجد أمه من بكائه) رواه البخاري. (مراعاة لمشاعر الأم وهي في الصلاة).

وهذا عبدُالله بنُ شدَّاد بن الهادِ -رضي الله عنه- لم يملك إلَّا أن يحكيَ لنا هذا المشهد العجيب الغريبَ الذي رواه عن أبيه، يبين فيه حرص النبي -صلى الله عليه وسلم- على مراعاة مشاعر الانسان من حوله حتى وإن كان طفلاً فقال: خرج علينا رسولُ اللهِ -صلى الله عليه وسلم- في إحدى صلاتي العشاء وهو حاملٌ حَسَنًا أو حُسينًا، فتقدَّم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فوضعه، ثم كبَّر للصلاة، فصلَّى، فسجد بين ظهراني صلاته سجدةً أطالها، قال أبي: فرفعتُ رأسي، وإذا الصبيُّ على ظهر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وهو ساجدٌ، فرجعت إلى سجودي، فلما قضى رسول الله -صلى الله عليه وسلم- الصلاةَ قال الناس: يا رسولَ الله، إنَّك سجدت بين ظهراني صلاتك سجدةً أطلْتَها حتى ظننَّا أنَّه قد حدث أمر، أو أنَّه يُوحى إليك؟! قال: كلُّ ذلك لم يكن، ولكنَّ ابني ارتحلَني؛ فكرهتُ أنْ أُعجلَه حتى يقضي حاجته) أخرجه أحمد، والنسائي، وصححه الألباني.

عباد الله: إن مراعاة مشاعر الناس وأحاسيسهم مما يزيد في الود ويؤلف بين القلوب؛ فقد لا ينسى أحدنا موقفاً لشخص ما راعى فيه مشاعره وشاركه أحاسيسه، فحينما تخلف كعب بن مالك عن غزوة تبوك ثم تاب الله عليه، وآذن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بتوبة الله عليه وعلى من معه حين صلى الفجر، يقول كعب: فتلقاني الناس فوجاً فوجاً يهنؤوني بالتوبة يقولون لتهنك توبة الله عليك حتى دخلت المسجد، فإذا برسول الله -صلى الله عليه وسلم- حوله

الناس، فقام إلى طلحة بن عبيد الله يهرول حتى صـــافحني وهناني، والله ما قام رجل إلي من المهاجرين غيره، لا أنساها لطلحة.

بل قد يرتقي الإنســـان بمراعاته لمشـــاعر الآخرين إلى مراتب عالية من الكمال والســـمو والرفعة؛ فهذا يوســـف -عليه الســـلام- قال: وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُـــجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّـــيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَـــاءُ ۚ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ [يوســـف، الآية: ١٠٠] لم يقل: أخرجني من الجُبّ؛ لا يريد جرح مشـــاعر إخوته وهم الذين رموه في البئر! قال عطاء بن رباح -رحمه الله-: إنّ الرجل ليُحدّثني بالحديثِ فأُنصِـــت له كأن لم أسمعه قطّ، وقد سمعتُه قبل أن يولد .. كل ذلك مراعاة للمشاعر!!

ومن مراعاة المشـاعر التي حثنا عليها الإسـلام: عدم التحدث بين اثنين سرًّا بصوت منخفض وغير مسموع؛ فقد نهى النبي -صلى الله عليه وسلم- عن التناجي بين اثنين إذا كان الحاضـــرون ثلاثة؛ مراعاة لشـــعور الثالث، ويدخل في النهي -أيضـــاً- من جهة المعنى أن يتكلم اثنان بلغة أجنبية لا يفهمها الثالث؛ فعن عبد الله بن عمر -رضـي الله عنه- أن النبي -صـلى الله عليه وسـلم- قال: (إذا كنتم ثلاثةً فلا يتناجَ اثنانِ دون الثالث) رواه البخاري.

وعن عبد الله بن مســعود -رضـــي الله عنه- أن النبي -صـــلى الله عليه وســـلم- قال: (إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صـــاحبهما فإنَّ ذلك يُحزنُه) رواه مسلم.

قال الخطابي: وإنما قال ليحزنه؛ لأنه قد يتوهم أن نجواهما إنما هي ســـوء رأيهما فيه، أو لدسيسة غائلة له.

ومما حثنا عليه النبي -صلى الله عليه وسلم- أن نشعر بحاجة الآخرين، وأن نسارع في قضائها لهم ومساعدتهم فيها دون أن نُعَرِّضهم إلى المسألة التي تجرح مشاعرهم؛ فعن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: بينما نحن في سفرٍ مع

النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ جاء رجلٌ على راحلة له، قال: فجعل يصرف بصرَه يميناً وشمالاً، فقال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: (من كان معه فضل ظهرٍ فليَعُدْ به على من لا ظهر له، ومن كان له فضلٌ من زادٍ فليَعُدْ به على من لا زاد له) الظهر: الدابة يركب عليها. قال: فذكر من أصناف المال ما ذكر، حتى رأينا أنه لا حقَّ لأحدٍ منَّا في فضل. رواه مسلم.

ومن ذلك: مراعاة شعور الإنسان المقصر عندما تقدم له النصيحة فلتكن نصيحتك لأخيك تلميحاً لا تصريحاً وتصحيحاً لا تجريحاً. وقال الإمام الشافعي: من وعظ أخاه سراً فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه.

رسالة إلى مضطر

الدنيا هي دار البلاء والمصائب، والمؤمن بحاجة إلى من يواسيه في هذه الدار ويقف إلى جانبه، فإذا حدث لشخص شيء من هذه البلايا فعليه عدة أمور، أهمها: أن يرضى عن الله، وأن يعلم أن الذي أنزل البلاء لا يدفعه أحد سواه، وهو الله وحده، يضاف إلى ذلك الصبر على هذا البلاء الذي نزل، مع استشعار الأجر الجزيل الذي يوفاه الصابرون يوم القيامة(١).

(١) محاضرة للشيخ/ محمد المختار الشنقيطي.

صاحب الذوق السليم من العوام

يفهم بعض الكلام، كثير القشمرة[1]، قليل المعيرة، ترف مسخرة، يقضي حوائج أولاد الحرة، ولو أنه يقع في الخسارة، يردف الرفيق، ويؤانسه في الطريق، قشمر عصبي، يعمل بلان وجلبي يتحسن ويتكيس، ولو نزلت في رقبته ما يعبس، خفيف الروح مزاح، كثير السماح، طعم لين المعيشة، عبائته مفروشة وطبقته مرشوشة، يلعب بالطاب والكنجفة، وله في طريق الخراع معرفة، بشاش كان وكان، وله في السخرية إمكان، عامي مخلوع، شريف النفس مطبوع[2].

قلت: أصحاب الذوق السليم نادرون، قلوب صافية، اللسنة مادحة، وجوه باسمه، من شيمهم الصفح، السماحة، يكرمون ضيفهم، ولا يحرجون من أخطأ، إن زرتهم سعدت وإن زاروك كأنما نزل عليك غيث هنيئ مدرار.

---

(١) تستعمل لوصف الإنسان ذي المدارك المتواضعة، وأصلها فارسية، وتتكون من مقطعين: غاش – مار، غاش: قليل الفهم، مار: مريض أو معلول، منتدى اللغة العربية: أما في العربية، فتعني: ضلله.

(٢) صفة صاحب الذوق السليم ومسلوب الذوق، اللئيم (ص:٨).
المؤلف: السيوطي.

صعوبة البدايات

النفس البشــرية غالبا لا تألف الشــيء، ولا يكون عادة لها إلا مع مرور الزمن.

كما بدأ الإسلام غريب، وسيعود غريب، ونحن في زمن الغربة.

لما دخل الصـــحابة المدينة كان جَوُّها صـــعب عليهم بعد مكة الموطن الأصلي لهم.

فبعد دعاء الرسول صلى الله عليه وسلم(١)، اعتادوا على المدينة وحبوها أكثر من موطنهم الأصل مكة.

(١) عن عائشــة رضــي الله عنها- قالت: لما قدم رسـول الله صـلى الله عليه وسـلم- المدينة، وعك أبو بكر وبلال، فجئت رســول الله -صــلى الله عليه وســلم- فأخبرته، فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشد، وصححها، وبارك لنا في صاعها ودها، وانقل حماها فاجعلها بالجحفة) متفق عليه. قال الطيبي -رحمه الله-: وهما جبلان، والجليل ومياه مجنة عين بقرب مكة، والحاصل إنه كان يذكر مكة وصـــحة هوائها، وعذوبة مائها، ولطافة جبالها ونباتها، ونفخة رياح نباتها الذي بمنزلة بناتها وأبنائها، فقال: (اللهم حبب إلينا المدينة كحبنا مكة أو أشـد) أي: بل أكثر وأعظم، ويؤيده أنه في رواية: (وأشــد)، وأما تجويز ابن حجر -رحمه الله- وغيره: يكون أو للشــك في هذا المقام فبعيد عن تحقيق المرام فإنه ينحل الكلام كحبنا أشد، ولا يخفى تكلفه عند الأعلام ثم لا ينافي هذا ما سبق أنه -عليه الصـــلاة والســـلام- قال لمكة: (إنك أحب البلاد إليَّ، وإنك أحب أرض الله إلى الله) وفي رواية: (لقد عرفت أنك أحب البلاد إلى الله وأكرمها على الله)، فإن المراد به: المبالغة، أو لأنه لما أوجب الله على المهاجرين مجاورة المدينة وترك التوطن والسكون بمكة السكينة طلب من الله أن يزيد محبة المدينة في قلوب أصـــحابه; لئلا يميلوا بأدنى الميل غرضـــا، إذ المراد بالمحبة الزائدة الملائمة لملاذ النفس، ونفي مشـــاقها لا المحبة المرتبة على كثرة المثوبة، فالحيثية مختلفة، ويؤيد ما قررناه فيما حررناه قوله: (وصــححها) أي: اجعل هواءها وماءها صــحيحا، (وبارك لنا في صــاعها ومدها) وجاء في رواية: (اللهم اجعل بالمدينة ضعفي ما بمكة من البركة) وهو لا ينافي مضاعفة المثوبة بمكة المختصة بها دون أهل المدينة، (وانقل) أي: حول، (حماها) أي: وباءها وشـدتها وكثرتها، (فاجعلها بالجحفة) قال الخطابي وغيره: كان ســاكنوا الجحفة في ذلك الوقت يهودا، (متفق عليه)، وقد اســتجاب الله دعاءه، فإن الحمى انتقلت إليها حتى من شـرب من مائها حم بل لو مر الطير في هوائه حم. انظر: مراقاة المفاتيح شرح المشكاة (ص:١٨٧٩).

إذا بدأت في عمل فلا تحكم عليه من بدايته وإذا تزوجت امرأة فصـــبرا حتى تألفها وتألفك.

علاج المصائب

كانت هذه الأحوال لا تفارقه, فالصبر لازم له إلى الممات.

ولما كان الصبر مأموراً به, جعل الله -سبحانه- له أسباباً تعين عليه وتوصل إليه فمما يسلي المصاب: أن يوطن نفسه على أن كل مصيبةً تأتيه هي من عند الله وأنها بقضائه وقدره, وأنه -سبحانه وتعالى- لم يقدرها عليه ليهلكه بها, ولا ليعذبه, وإنما ابتلاه ليمتحن صبره ورضاه, وشكواه إليه وابتهاله ودعاءه, فإن وفق لذلك كان أمر الله قدراً مقدوراً, وإن حرم ذلك كان ذلك خسراناً مبيناً.

الأول: أن يعلم بأن الدنيا دار ابتلاء, والكرب لا يرجى منه راحة.

الثاني: أن يعلم أن المصيبة ثابتة.

الثالث: أن يقدر وجود ما هو أكثر من تلك المصيبة.

الرابع: النظر في حال من ابتُلي بمثل هذا البلاء, فإن التأسي راحة عظيمة.

الخامس: النظر في حال من ابتُلي أكثر من هذا البلاء, فيهون عليه هذا.

السادس: رجاء الخلف إن كان من مضى يصح عنه الخلف كالولد والزوجة.

السابع: طلب الأجر بالصبر في فضائله وثواب الصابرين وسرورهم في صبرهم, فإن ترقى إلى مقام الرضا فهو الغاية.

الثامن: أن يعلم العبد كيف جرى القضاء فهو خيرٌ له.

التاسع: أن يعلم أن تشديد البلاء يخص الأخيار.

العاشر: أن يعلم أنه مملوك, وليس للمملوك في نفسه شيء.

الحادي عشر: أن هذا الواقع, وقع برضى المالك, فيجب على العبد أن يرضى بما
رضي به السيد.

الثاني عشـر: معاتبة النفس عند الجزع, أن هذا الأمر لا بد منه فما وجه الجزع مما لا بد منه؟

الثالث عشر: إنما هي ساعةٌ فكأن لم تكن[1].

(١) اصبر واحتسب (ص:١٧)، ت: عبد الملك بن محمد القاسم.

غرائب أخلاق النفس

ينبغي للعاقل أن لا يحكم بما يبدو له من استرحام الباكي المتظلم وتشكيه، وشدة تلويه وتقلبه وبكائه. فقد وقفت من بعض من يفعل هذا على يقين، أنه الظالم المعتدي المفرط الظلم. ورأيت بعض المظلومين ساكن الكلام، معدوم التشكي، مظهراً لقلة المبالاة، فيسبق إلى نفس من لا يحقق النظر أنه ظالم، وهذا مكان ينبغي التثبيت فيه، ومغالبة ميل النفس جملة، وإن لا يميل المرء مع الصفة التي ذكرنا ولا عليها، ولكن يقصد الإنصاف بما يوجبه الحق على السواء.

حقيقة: الناس لاينظر اليهم بما يقولون فكثير من الناس يظهر أنه مظلوم وهو ليس مظلوم؛ والعكس من ذلك فالبعض يحب أن يظهر أنه ظالم ليظهر بذلك قوته وشجاعته، ولو عرف الحقيقة أن الظلم ضعف في الناس.

الموفق في ذلك من يؤتى الحكمة؛ لأن الله سبحانه ذكر أن من يؤتى الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا ...[1].

(١) الأخلاق والسير (ص:٢٤).

المؤلف: أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الأندلسي (المتوفى: ٤٥٦هـ).

فأنت بالعقل لا بالجسم إنسان

أقول: إن البارئ عز اسمه إنما أعطانا العقل وحبانا به لننال ونبلغ به من المنافع العاجلة والآجلة غاية ما في جوهرِ مِثلنا نيلُه وبلوغه، وإنه أعظم نِعَم الله. عندنا وأنفع الأشياء لنا وأجدها علينا[1].

وبالعقل نميز ما ينفعنا مما يضرنا، والعقل مدار التكليف، وهو ما كرم الله به الإنسان.

فإما يكون نعيم في الدارين أو نقمة في الدارين.

(١) رسائل فلسفية (ص:١٨).

المؤلف: أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي (المتوفى: ٣١٣هـ).

فلا أنيس لك اليوم غيرنا

قال الحافظ ابن رجب -رحمه الله تبارك وتعالى-:

قال يزيد الرقاشي -رحمه الله-:

- بلغني أن الميت إذا وضع في قبره استوحشته أعماله، ثم أنطقها الله، فقالت: أيها العبدُ المنفردُ في حفرته، انقطع عنك الأخلاء والأهلون.

- فلا أنيس لك اليوم غيرنا، ثم بكىٰ يزيد وقال: طوبى لمن كان أنيسه صالحًا، والويل لمن كان أنيسه وبالاً.

تزوَّد قرينًا من فعالك إنَّما ... قرين الفتىٰ في القبر ما كان يفعلُ

وإن كنت مشغولاً بشيءٍ فلا تـكـ. ... بغير الَّذِي يرضىٰ به اللهُ تُشغلُ

فلن يصحبَ الإنسانُ من بعد مـوتـه ... إِلَىٰ قبره إلا الَّذِي كان يعمل

ألا إِنَّمَا الإنسان ضيفٌ لأهله ... يقيم قليلاً عندهم ثم يرحل(١)

(١) مجموع الرسائل (٢/٤٣٣).

كلمات منتخبة من كلام الإمام علي رضي الله عنه ومواعظه

عن عبد خير عن علي -رضي الله عنه- قال: ليس الخير أن يكثر مالك وولدك ولكن الخير أن يكثر عملك ويعظم حلمك، ولا خير في الدنيا إلا لأحد رجلين رجل أذنب ذنوبا فهو يتدارك ذلك بتوبة أو رجل يسارع في الخيرات ولا يقل عمل في تقوى وكيف يقل ما يتقبل.

وعن مهاجر بن عمير قال: قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: "إن أخوف ما أخاف اتباع الهوى وطول الأمل فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة إلا وان الدنيا قد ترحلت مدبرة ألا وإن الآخرة قد ترحلت مقبلة ولكل واحدة منهما بنون فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب ولا عمل"[1].

قلت: كان للإمام علي -رضي الله عنه- الكثير من أقول الحكمة وكان ذا معرفة بحال الدنيا، فله الكثير من الأقوال والأشعار لتي تصف حال الدنيا وسرعة فنائها.

(١) صفوة الصفوة لابن الجوزي (١/٥٣).

لا يشترط في المجتهد الإجابه على الفور

أن نقولَ: المجتهدُ: هو المتمكِّنُ مِن معرفة الأحكام الشـــرعية بالبحث، والنَّظَرِ، ولم يقل أحد: إنه يجب أن يكونَ المجتهدُ عالماً بأحكامِ الحوادثِ بحيثُ إذا سُئل عن المسألة، أجابَ السائِلَ في الوقت على الفور مِن غير نظرٍ، ولا طَلَبٍ، وهذا مشهور في كتب الأصول(١).

العبرة بالفهم –معاذ أفقه أمة محمد–:

عاش معاذٌ –رضي الله عنه– بعدَ أن أَذِنَ له رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– في الاجتهاد والقضاء زماناً في حياة رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم–، وبعدَ وفاتِه، وهو في خلال ذلك يَحْكُمُ ويُفتي ويروي، فقد كان أفقهَ الصـــحابة بالنصِّ النبوي، ومع ذلك فلم تزد مروياتُه على مئة وسبعة(٢).

---

(١) العواصم والقواصم لابن الوزير (١٥/٢).

(٢) وخمسين حديثاً، العواصم والقواصم (٢٩/٢).

لذة المعالي

لذة العاقل بتمييزه، ولذة العالم بعلمه، ولذة الحكيم بحكمته، ولذة المجتهد لله عز وجل باجتهاده، أعظم من لذة الآكل بأكله، والشارب بشربه، والواطيء بوطئه، والكاسب بكسبه، واللاعب بلعبه، والآمر بأمره، وبرهان ذلك، أن الحكيم العاقل والعالم والعامل واجدون لسائر اللذات التي سمينا، كما يجدها المنهمك فيها، ويحسونها كما يحسها المقبل عليها، وقد تركوها وأعرضوا عنها، وآثروا طلب الفضائل عليها، وإنما يحكم في الشيئين من عرفهما لا من عرف أحدهما ولم يعرف الآخر[١].

فعلى العاقل التريث وعدم التسرع في الإنكار حتى لا يقع في التناقض عند بيان صدقه ومطابقته للواقع[٢].

وقال يحيى بن معاذ: العاقل لا يدعه ما ستر الله عليه من عيوبه بأن يفرح بما أظهره من محاسنه[٣].

(١) الأخلاق والسير لابن حزم (ص:١).

(٢) أمين محمد سالم.

(٣) شرح صحيح البخاري (٨/٤٨).

المؤلف: ابن بطال أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ).

مما قيل في الكلام

قال ابن المقفع: (الكلامُ أزمة القُلُوب التي تقودها إلى رشدها وغيِّها).

وقال عامر بن شراحيل الشعبي: (الكلام مصائد العقل).

وقال بعض الحكماء: (عقلُ المرء مدفونٌ تحت لسانه).

وقال بعض البلغاء: (اللسانُ أداةٌ يظهر بها حسنُ البيان، وظاهرٌيُخْبر عن الضمير، وشاهدٌ يُنْبئُ عن غائب، وحاكمٌ يفصلُ به الخطاب، وناطقٌ يردُّ به الجواب، وشافعٌ تدركُ به الحاجاتُ، وواصفٌ يعرف الحقائق، وواعظٌ ينهى عن القبيح، ومزيِّن يدعو إلى الحسن، وزارعٌ يحرث المودة، وحامدٌ يستأصل الضغينة)[١].

---

(١) كنز الكتاب ومنتخب الآداب (السفر الأول من النسخة الكبرى) (ص:٧٩).

تأليف: أبو إسحاق إبراهيم بن أبي الحسن الفهري المعروف بالبونسي (٦٥١هـ).

المحقق: حياة قارة.

من أخلاق الإسلام الرفيعة (الإستئذان)

الاستئذان: طلب الإذن من أجل الدخول في البيوت، والمحالّ التي يستتر فيها الناس كالحُجر, والأبنية, والمجالس المستورة, ومثله في عصرنا الاستراحات وما أشبه ذلك, فالأصل أن الإنسان لا يتقحم بيت غيره, ولا مكاناً يستتر به الناس عادة، سواء كان هذا المستتر واحداً أو جماعة إلا بإذن, وهذا الإذن إما أن يكون إذناً صريحاً, أو إذناً جرت به العادة.

فالإذن الصريح: بأن يسمح صاحب الدار بكلام, أو إرسال من يأذن له، ثم الإتيان فوراً.

والعرفي: كأن يكون الباب مفتوحاً وقد سبق له سماح بالقدوم(١).

حرص الإسلام على ستر عورة المسلم، فشرع الاستئذان.

فما بالك بالذين يعمدون لكشف عورتهم وبالخصوص: معشر النساء؛ فإنهم واقعون في: الإثم، والحرج، ومجانبة الصواب، والعفة والقيمة؛ فقيمة المرأة حجابها إذا نزعته قلت هيبتها ووقارها فالحجاب لها زينة، وشرع، ومكانة.

الاستئذان الخاص، فهو الاستئذان داخل البيت، ذاك استئذان لدخول البيت، وهذا استئذان داخل البيت، وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنْكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ۚ مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ۚ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ۚ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ۚ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾ وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور، الآية: ٥٨-٥٩]، هذه الآية عامة للرجال وللنساء، وإن

---

(١) اللباب شرح فصول الآداب (ص:١٦٦).

المؤلف: أبو محمد عبد الله بن مانع بن غلاب الغبيوي الروقي العتيبي.

كانت بصيغة المذكر، لكن يدخل فيها النساء؛ لأن صيغة التذكير هنا من باب التغليب ليس إلا، وإلا فالنساء يدخلن في ذلك؛ لأن النساء من باب حفظ العورة أشد من الرجال، فإذا ثبت الحكم في الرجال فالنساء من باب أولى، وقوله: ﴿الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النور، الآية:٥٨] سواءً كانوا بالغين أو غير بالغين. ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ [النور، الآية:٥٨] هؤلاء الأحرار، وليس المراد الذين لم يظهروا على عورات النساء؛ لأن الذي لم يبلغ الحلم قد يعرف أحوال النساء، ويميز المرأة الجميلة من المرأة القبيحة، وله التفات إلى النساء، وإلى ملابس النساء، وزينة النساء، ويصف النساء.

فقوله: ﴿وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ﴾ [النور، الآية:٥٨] الأحرار غير البالغين، وليس خاصاً بالذين لم يظهروا على عورات النساء، بل المراد الذين عرفوا أمر النساء، لكن ما بلغوا الحلم، لكن ولد ابن سنتين، ليس من الذين يظهرون على عورات النساء، لا يظهر على عورات النساء، لا يفهم في عورات النساء، ولا يميز المرأة الجميلة من المرأة القبيحة، أو يصف، ويهتم بشئون النساء، وله ميلٌ إلى ذلك. وهذه الأوقات الثلاثة التي ذكرها الله هي أوقات الخلوة والتصرف التي يمكن أن يأتي فيها الإنسان أهله في العادة. فالله عز وجل يعلم أن الاستئذان الخاص -مثلاً-: استئذان الخدم أو الإماء أو الأطفال على الأبوين -مثلاً-، كل وقت يشق فجعله خاصاً واجباً في هذه الأوقات الثلاثة؛ لماذا يوجد مشقة؟ لأجل الطواف بالخدمة، وقضاء الأشغال، والحوائج. فإذا كانت كلما تريد أن تتحرك من مكان إلى مكان تستأذن، سيكون هناك مشقة، لكن جعل هناك أوقات معينة ليس فيها دخول إلا باستئذان، وهي هذه الأوقات الثلاث، التي هي مظنة خلع الثياب، ومظنة إتيان الرجل أهله واستراحته، وقيلولته ونومه، وكانوا في الحر يخلع الرجل إزاره ورداءه، فربما تعرى، فينكشف، فيطلع غير المستأذن على شيء غير مناسبٍ على الإطلاق.

وقوله عز وجل: ﴿لِيَسْتَأْذِنْكُمُ﴾ [النور، الآية:٥٨] يدل على أنه ينبغي أن نربي أولادنا على هذا الأدب، يجب أن يربى الأولاد على عدم اقتحام غرفة نوم الأبوين إلا بإذن، ويربى الأولاد أن لا يدخل الواحد على غرفة الآخر إلا بإذن،

يستأذن، الإذن الخاص، فقد يكون يغير ثيابه بعد استحمام، أو لأجل الخروج من البيت، ونحو ذلك، ولما استغرب أحد الناس، قال لابن عمر: "أستأذن على أمي؟ قال: أتريد أن تراها عارية؟" فربما أنها تبدل ثيابها، فلا بد أن يستأذن استئذاناً خاصاً، حتى في الدخول على الأم، وبالذات غرف البنات، ينبغي تعليم من يدخل الاستئذان قبل أن يدخل، هذا أدب إسلامي حصل فيه تفريط وإخلال به يؤدي إلى كوارث[١].

(١) نقل بتصرف من مقال للشيخ/ المنجد.

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢
أسوار ٣
الإبداع في فنون متنوعة ٤
الثقة ٥
الرحيل ٧
الزهد في الدنيا وبيان حقارتها ٩
الشوق للبيت ١١
الصديق المخوف، الآمن ١٢
الظلمة حسا ومعنى ١٣
الغناء بالله ١٤
المال والعلم ١٥
ثمرة العقل ١٦
حقيقة الالتزام ١٨
حقيقة الإنسان ١٩
حِكَم ومواعظ ٢٠
داء العشق ودواؤه ٢٤
دواء القلب ٢٥
مراعاة الأحاسيس ٢٧
رسالة إلى مضطر ٣١
صاحب الذوق السليم من العوام ٣٢
صعوبة البدايات ٣٣
علاج المصائب ٣٤
غرائب أخلاق النفس ٣٧

فأنت بالعقل لا بالجسم إنسان ٣٨
فلا أنيس لك اليوم غيرنا ٣٩
كلمات منتخبة من كلام الإمام علي ﷺ ومواعظه ٤٠
لا يشترط في المجتهد الإجابه على الفور ٤١
لذة المعالي ٤٢
مما قيل في الكلام ٤٣
من أخلاق الإسلام الرفيعة (الإستئذان) ٤٤
فهرس الموضوعات ٤٧

الإسناد من الدين
مركز الدراية و الإسناد و الرواية و السماع
MADAAREES
Markaz Dirayat Isnad Riwayat & Sima'